مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد 14،العدد01 – 2023 / ص ص:125- 137

مؤتمر برلين 1884م – 1885م ودوره في التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية

Berlin Conference of 1884 – 1885 ; and its role in the process of colonial struggle on the African continent

فتح الرحمن الطاهر عبد الرحمن حمد *
جامعة البحر الأحمر (السودان) Fatah.conce@yahoo.com

تاريخ الاستلام : 2022/05/10 ؛ تاريخ القبول : 2022/08/02 ؛ تاريخ النشر : 2023/01/31

الملخص

هدف هذا البحث الي دراسة مؤتمر برلين 1884م – 1885م, والتعريف بأسباب قيامه واهم قراراته ونتائجه, ودوره في عملية التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية.واتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي بعد جمع المعلومات من المصادر والمراجع ثم تحليلها ونقاشها والخروج من خلالها بنتائج وتوصيات ضمنت نهاية البحث .وقد خلص البحث الي العديد من النتائج من بينها انه علي الرغم من ان السبب الرئيسي في قيام مؤتمر برلين 1884م – 1885م كان لمعالجة مشكلة الكونغو الا انه تطورت حيثياته وامتدت الي تنظيم عملية التقسيم للقارة الافريقية بين الدول الاوربية المتنافسة, وقد ساهم بقدر كبير في تنظيم عملية التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية .

واوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بالدراسات والبحوث العلمية التي تعتمد علي الوثائق التاريخية والمخطوطات لدراسة مؤتمر برلين 1884م – 1885م ودوره في التكالب الاستعماري الاوربي علي افريقيا, ولكشف الحقائق حول الجرائم غير الانسانية التي مارسها الاستعمار الاوربي في حق القارة والشعوب الافريقية.

الكلمات المفتاحية: مؤتمر برلين – حركة الكشوف الجغرافية – القارة الافريقية - العلاقات الاوربية الافريقية - التكالب الاستعماري.

Abstract

The aim of this research is to study the Berlin Conference of 1884 - 1885, and to define the reasons for its establishment, its most important decisions and results, and its role in the process of colonial struggle on the African continent. The researcher followed the descriptive and analytical method of historical research after collecting information from sources and references, then analyzing and discussing them and coming out with results and recommendations that ensured the end of the research.

The research concluded with many results, including that although the main reason for the establishment of the Berlin Conference of 1884 - 1885 was to address the problem of the Congo, its merits developed and extended to organizing the division of the African continent among competing European countries, and it contributed greatly to organizing the process of partitioning the African continent. Colonial struggle on the African continent.

The study recommended the necessity of paying attention to studies and scientific research that depend on historical documents and manuscripts to study the Berlin Conference of 1884 - 1885 and its role in the European colonial struggle against Africa, and to reveal the facts about the inhuman crimes practiced by European colonialism against the continent and African peoples..

Keywords : Berlin Conference; African continent; colonial struggle; European countries

* فتح الرحمن الطاهر عبد الرحمن حمد

مقدمة:

كان مؤتمر برلين 1884م – 1885م هو بمثابة التنظيم الحقيقي لعملية التكالب الاستعماري الاوربي علي القارة الافريقية, وقد كان هو الدافع الرئيسي لقبول الدول الاوربية للجلوس لمعالجة كل الصراعات والخلافات العالقة بينهم حول احتلال الاراضي الافريقية. وامتد تأثير ذلك التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية في انسانها ومواردها, ومخلفاً وراءه آثاره التي عانت وتعاني منها القارة الافريقية حتي يومنا هذا امتداداً لما خلفه ذلك التغول الاستعماري من مشاكل مزمنة علي كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

مشكلة البحث:

تعتبر اشكالية الصراع المحموم بين الدول الاوربية نحو استحواذ الاراضي في القارة الافريقية واستعمارها هو ما جعل الاوضاع تحتدم وتحتقن بين هذه الدول التي كان لا بد لها من تدارك الوضع, وبذلك فقد اصبح من الضرورة بمكان السعي الي ايجاد مخرج يمكن ان يساعد في الخروج من هذه الازمة دون الوقوع في الصدامات المباشرة التي ستقود حتماً الي الصراع العسكري بينهم, وبهذا جاءت فكرة عقد مؤتمر في برلين لمعالجة هذه المواقف المتنافسة والمتصارعة. ومن هنا تبرز اشكالية البحث التي تقتضي الاجابة علي الاسئلة الآتية: ما هي الاسباب التي ادت الي عقد مؤتمر برلين 1884م – 1885م؟ والي أي مدي ساهم مؤتمر برلين في تنظيم عملية التكالب الاستعماري الاوربي في افريقيا؟ وكيف تحقق لهذه الدول الاستعمارية الاوربية امكانية الاستفادة من عملية التقسيم والاستعمار المباشر للأراضي الافريقية؟.

اهداف البحث:

هدف هذا البحث الي:

1- التعريف بمؤتمر برلين 1884م – 1885م والاسباب التي ادت الي قيامه.
2- دراسة العلاقات الاوربية الافريقية, ونشاط الدول الاوربية في افريقيا وتنافسها قبل مؤتمر برلين, والتعريف بالكشوف الجغرافية ودورها في حركة التسابق الاستعماري الاوربي لأفريقيا.
3- دراسة انعقاد مؤتمر برلين 1884م -1885م واهم مخرجاته وقراراته ونتائجه.
4- دراسة اثر مؤتمر برلين ونتائجه, ودوره في عملية التقسيم والتكالب الاستعماري الاوربي علي القارة الافريقية.

اهمية البحث:

تأتي اهمية البحث في انه يقدم دراسة علمية موثقة حول هذه القضية التي تمس الكيان الافريقي وسيادته الوطنية والقومية والتي عانت من ذلك التسابق المسعور للدول الاوربية نحو استعمار واستغلال الاراضي الافريقية.

منهج البحث:

اتبع الباحث منهج البحث التاريخي الوصفي والتحليلي بعد جمع المعلومات من المصادر والمراجع ثم تحليلها ونقاشها والخروج من خلالها بنتائج وتوصيات ضمنت نهاية البحث.

حدود البحث:

الحدود الزمانية: الفترة من 1884م – 1916م وهي فترة قيام مؤتمر برلين وما تلي ذلك من عملية التكالب علي استعمار القارة الافريقية حتي فترة قيام الحرب العالمية الاولي.

الحدود المكانية: اوروبا والقارة الافريقية , وتمثل مكان انعقاد المؤتمر وتنفيذ التكالب الاوربي علي اراضي القارة الافريقية.

تعريف الاستعمار:

هناك العديد من التعريفات للاستعمار في العصر الحديث, فمنها مثلاً تعريف كوامي نكروما الذي عرفه " بانه سيطرة دولة علي دولة اخري واستخدام هذه الدولة المستعمرة قوتها الصناعية المتفوقة لإخضاع شعب آخر, واستغلاله اقتصادياً" فالاستعمار من وجهة نظر نكروما هو السياسة التي بها ترتبط وتقيد الدولة الام مستعمراتها وتوجهها من اجل تحقيق مصالحها الاقتصادية الخاصة (نكروما؛ كوامي: 1958م, ص 48).

ويقول محمد عوض: " بانه العمل او مجموعة الاعمال التي من شانها السيطرة او بسط النفوذ بواسطة دولة او جماعة منظمة من الناس علي مساحة من الارض لم تكن تابعة لهم, او علي سكان تلك الارض او علي الارض والسكان في آن واحد" (عوض؛ محمد عوض: 1953, ص 38).

ويري شوقي الجمل ان اساليب الاستعمار كثيرة منها مثلاً استخدام القوة الحربية او قد تحدث السيطرة علي الارض بشرائها او بطرق منها عوامل الضغط. وقد استخدم الاستعمار الكثير من الشركات مثل الشركات الاستعمارية الالمانية, ومن بين الشركات علي سبيل المثال شركة كارل بيترز وشركة الهند الشرقية البريطانية وغيرها من الشركات متعددة الجنسيات التي قامت بأعمال استعمارية ومهدت لحكوماتها بسط نفوذها علي الاماكن التي ارتبطت بها تلك الشركات (الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الله عبد الرازق: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر, 2002, ص 46).

ويقول ستيفن: الاستعمار يعني سيطرة مباشرة لبلد علي بلد اخري بهدف السيطرة السياسية واستغلال البلاد المستعمرة مادياً وبشرياً. فالاستعمار شكل مباشر للإمبريالية فكثيراً ما يقال ان " كل استعمار هو استعمار, ولكن ليس كل امبريالية استعمار". فالحكم الاستعماري المباشر غير ضروري بالنسبة للإمبريالية لان علاقات التبعية والسيطرة الاقتصادية والاجتماعية تضمن اليد العاملة الاسيرة بالإضافة للأسواق للبضائع الصناعية الاوربية فالإمبريالية هي اعلي مرحلة من الاستعمار (Stephen Ocheni, Basil C. Nwankwo:2012,p 46).

العلاقات الاوربية الافريقية قبل مؤتمر برلين:

تميزت العلاقات الاوربية الافريقية فيما قبل مؤتمر برلين 1884م – 1885م بظهور النشاط الكشفي الذي عرف بالكشوف الجغرافية للقارة الافريقية من قبل الاوربيين, بالإضافة الي حركة التبشير التي صاحبت تلك الرحلات الكشفية وكذلك حركة التجارة, كل ذلك كان يشكل مرحلة من مراحل العلاقة بين اوروبا وافريقيا والتي تسببت في ظهور النشاط الاستعماري والذي قاد بدوره الي استعار الصراع بين الدول الاوربية حول استعمار افريقيا وهو ما عرف بفترة التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية.

حركة الكشوف الجغرافية للقارة الافريقية:

لم تكن الاجزاء الداخلية لأفريقيا معلومة الي المستكشفين الاوربيين نتيجة الي العديد من العوامل الجغرافية التي جعلت نشاطهم في بادئ الامر يقتصر علي السواحل الافريقية في القرن الخامس عشر. وقد تمثلت هذه العوامل الجغرافية في عدم صلاحية بعض السواحل الافريقية للملاحة حيث تقل فيها الرؤوس والخلجان, وعدم وجود جزر كبيرة في المحيطات تساعد علي استمرار الرحلات الكشفية وتكون بمثابة محطات للتزود بالوقود والمؤن لمواصلة النشاط الكشفي. كما ان الانهار التي تساعد علي النفاذ الي داخل افريقيا هي انهار سريعة الجريان ولا يصلح معظمها للملاحة النهرية. بالإضافة الي كل ذلك كانت الامراض الفتاكة كالملاريا والجذام ومرض النوم وغيرها لم تكن طرق معالجتها قد اكتشف بعد. كل ذلك وغيره من الاسباب قد جعل دخول الاوربيين الي الاجزاء الداخلية في ذلك الوقت متأخراً (موسي؛ فيصل محمد, 1997م, ص 63-64).

نتيجة لذلك فقد كانت حركة الكشوف الجغرافية الاولي وهي ما بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر قد اقتصرت علي اكتشاف السواحل الافريقية والطرق البحرية دون التوغل الي داخل القارة. اما حركة الكشوف الجغرافية الثانية وهي ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد اهتمت الدول الاوربية فيها علي التوغل الي دواخل افريقيا واكتشاف مجاري الانهار فيها وروافدها ومنابعها.

هناك عدة عوامل ادت الي القيام بحركة الكشوف الجغرافية منها:-

العامل الاقتصادي: وهو من اهم العوامل التي دفعت الاوربيين نحو الكشوف الجغرافية للبلاد الافريقية لديهم والطرق البحرية التي تربط اوروبا بالهند, فقد كانت تجارة الشرق لا تصل اليها الا بعد ان تمر بعدة احتكارات ترفع اسعار السلع بسبب الرسوم الجمركية وبعض القيود في بعض المدن والموانئ المهمة مثل البندقية وجنوة ومواني سوريا ومصر وغيرها. فكان لا بد من البحث عن طرق بحرية اخري لا تقع تحت سيطرة أي جهة تعرقل نشاطهم التجاري.

العامل الديني: وهو دافع قديم نشأ منذ العصور الوسطي وكان سمة من سمات الصراع بين الشرق والغرب وبين الاسلام والمسيحية, فبعد ان دحرت اوروبا المسيحية الصليبية المسلمين من اسبانيا فكرت في شن حملات انتقامية تعقبية للمسلمين في شمال افريقيا, وقد سعي الاسبان وغيرهم من الاوربيين كالبرتغاليين الي نشر المسيحية في افريقيا وذلك منعاً لانتشار الاسلام.

العامل العلمي: وهو يرتبط بالرغبة في الاكتشاف ومعرفة اراضي جديدة خاصة بعد ان توافرت معلومات علمية عن بعض المسائل التي شغلت اذهان المفكرين وكانت مثار جدل مثل كروية الارض ودوران الشمس حول الارض واحاطة الارض بالماء من كل الجوانب. هذا الي جانب بعض الوسائل العلمية التي ساعدت في ذلك النشاط العلمي مثل انشاء السفن الكبيرة واكتشاف البوصلة لتحديد الاتجاهات والاسطرلاب الذي يساعد في التعمق في معرفة حركة الكواكب والنجوم, هذا بالإضافة الي التقدم العلمي في مجال الرياضيات والفلك والملاحة البحرية ورسم الخرائط والمصورات الجغرافية (موسي؛ فيصل محمد, 1997م, ص 64-66).

ويري الباحث ان الفترات التي مرت بها الكشوف الجغرافية تميزت بنشاط اوربي مستعر ابتدرته اسبانيا والبرتغال في هذا الميدان وامتد النشاط من بعدهم بدخول كثير من المستكشفين الاوربيين من دول اوربية اخري, وقد حققت هذه الكشوف الجغرافية الكثير من النتائج وساعدت علي التوسع الاستعماري في المناطق التي وصلها وسيطر عليها الاوربيين, وقد ساهمت بقدر كبير في نهب القوي الاستعمارية لثروات افريقيا من ذهب وفضة ونحاس وغيرها من المعادن, وموارد زراعية وغابية ثم تجارة الرقيق غير الانسانية التي انتشرت بصورة كبيرة في ذلك الزمان, كما فتحت الكشوف الجغرافية امام الاوربيين من دول ورحالة ومبشرين التوغل الي داخل افريقيا بغرض نشر المسيحية واستعمار بعض المناطق واستغلال لكل مواردها المادية والبشرية.

النشاط الاوربي في القارة الافريقية قبل مؤتمر برلين:

بعض المؤرخين اقترحوا عام 1870م باعتباره تاريخ لبداية تدافع الاوربيين علي القارة الافريقية وفرضهم السيطرة الاستعمارية عليها. ولكن هذا التاريخ يبدو مبكراً, وبعض المؤرخين امثال غ.ن اوزويغوي يحددون بداية هذا التدافع بأنشطة الفرنسيين في منطقة سنيغامبيا وانشطة ستانلي ممثلاً للملك البلجيكي ليوبولد, واعمال سافورنيان دي برازا لصالح الفرنسيين في منطقة الكنغو, وتحرك البرتغاليين في افريقيا الوسطي حيث كانت هذه الانشطة هي التي ابتدرت ذلك التدافع (تاريخ افريقيا العام؛ البير ادو بواهن 1990, ص 37). ويري الباحث ان تلك التحركات قد بدأت معظمها في اواخر السبعينيات واوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر لذلك يمكن من الاسلم ان تكون فترة التدافع قد وصلت الي قمتها بعام 1880م.

في الفترة منذ العام 1880م صارت القارة الافريقية في معظمها خاضعة للاستعمار الاوربي. وقد كانت اهم القوي في تلك الفترة هي انجلترا وفرنسا والبرتغال, وكانت البرتغال تدعي سيطرتها علي مناطق شاسعة من الاراضي الافريقية ولكنها لم تقم باحتلالها فعلياً, وكانت بريطانيا تحبذ فكرة استحواذ البرتغال علي شريط يمتد من خط 12 و 5 الي خط 8 درجة جنوباً بما في ذلك مصب نهر الكونغو, حيث لم تكن دولة الكونغو الحرة قد برزت بعد الي حيز الوجود.

اما نشاط فرنسا فقد بدأ منذ بداية القرن التاسع عشر في الجزائر ثم استقرت في غرب افريقيا واخذت تتطلع الي نحو النيجر كما وسعت مجال نفوذها في الجابون واستولت علي منطقة واسعة من الكونغو علي ضفتي النهر

اليمني, وكانت تسعي لوضع مدغشقر تحت نفوذها. اما بريطانيا فكانت تسطير عملياً علي بعض مناطق جنوب افريقيا حتي نهر اورانج وخليج دالجو, كما كانت تتمسك ببعض مستعمراتها في الغرب الافريقي وكذلك في زنجبار شرقاً. (الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الرازق عبد الله: 1998, ص 46).

اما ايطاليا كانت تتطلع الي السيطرة علي ليبيا بينما كان تجارها يرتادون مناطق من الحبشة. وكان عام 1880م عاماً حاسماً في تاريخ ايطاليا الاستعماري حيث ثبت الايطاليون اقدامهم لأول مرة في القارة الافريقية في منطقة خليج عصب شمال اوبوك التي استولت عليها فرنسا علي ساحل البحر الاحمر, وكانت ايطاليا تتطلع الي احتلال تونس الا ان فرنسا احتلت تونس فاتجهت انظار ايطاليا الي منطقة الحبشة وشرق افريقيا.

كان من اكبر الدوافع لغزو اوروبا واستعمارها لأفريقيا منذ عام 1880م هو الحصول علي الاسواق. وقد برزت احواض الكونغو والنيجر بمثابة الممرات الطبيعية نحو الاسواق الداخلية التي كان رجال الصناعة في اوروبا يبحثون عنها لتصريف فائض الانتاج. وكانت لتقارير الرحالة اثر كبير في اعطاء الثقة للتجار, وقد اكدوا لهم المكاسب التي يمكن ان تتحقق بجعل انهار الكونغو والنيجر حرة الملاحة لكافة الدول. فكانت النزعة التنافسية الاستعمارية بين هذه الدول والسعي لتحقيق الامجاد والسيادة قد خلق ذلك التكالب الاستعماري علي افريقيا, ودخلت الدول الاوربية في تنافس وصراعات من اجل تثبيت نفوذها. وكانت فرنسا تعارض أي توسع اجنبي في غرب افريقيا بعد ما حققت تقدم كبير في المنطقة, وكذلك بريطانيا كانت تري عدم جدوي أي توسعات لا تغطي نفقات ادارتها. والمانيا كانت تعارض المشروعات الاستعمارية. وكانت الشكوك متبادلة بين القوي الاوربية مما جعلها تسعي للتوسع الاستعماري خوفاً من ضياع اسواقها اذا ما سيطرت عليها دولة اخري (الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الرازق عبد الله: 1998, ص 46-47).

اما المانيا لم تكن في بادئ الامر تهتم بالدخول في ميدان الاستعمار ولكن بضغوط من رجال الاعمال وبعض الدوائر العامة في الوقت الذي انتشرت فيه العديد من الجمعيات الاستعمارية الاوربية الأخرى, وبعد جهود ايضاً من اصحاب رؤوس الاموال في المانيا فقد توجه بسمارك لإيجاد مناطق نفوذ لألمانيا في غرب افريقيا خصوصاً الكاميرون وتوغو وشرق افريقيا, مستفيدين من المعلومات التي توفرت من نشاط المستكشفين.

كان للنشاط الذي قام به استانلي في حوض الكونغو وتأسيسه لمحطة باسم المنظمة الدولية التي نادي بها الملك البلجيكي ليوبولد في عام 1880م وكذلك المعاهدات التي وقعها مع الزعماء الوطنيين دافعاً لان يكشف الملك البلجيكي ليوبولد القناع عن اغراض الهيئة " هيئة الكونغو الأعلى" التي تم تكوينها نتيجة للمؤتمر الجغرافي الدولي الذي عقده في بروكسل عام 1876م وتكونت بموجبه هذه الهيئة الدولية, ولذلك فقد كان لتجريده الهيئة الدولية من صفتها العالمية وجعلها مشروعاً بلجيكياً بحتاً هي الشرارة التي الهبت التوسع الاستعماري الاوربي في القارة الافريقية, وجعلت الدول الاوربية تتسابق في الحصول علي الاراضي الافريقية. فاحتلت فرنسا تونس عام 1881م واحتلت بريطانيا مصر عام 1882م واستمرت عمليات التوسع الاستعماري الاوربي في افريقيا.

جاءت اهمية حوض الكنغو بعد اكتشاف منبع نهر الكنغو, وعقب انتشار الثورة الصناعية ازداد التنافس بين الدول الاوربية حول منطقة حوض الكنغو الذي يعتبر مجالاً خصباً لتحقيق تلك الاهداف خاصة مع وصول تقارير تؤكد غني الكنغو بالثروات كالنحاس والمطاط والمعادن الثمينة, اضافة الي وفرة الطاقة البشرية التي يمكن استغلالها كايدي عاملة او قوة استهلاكية, وتسبب ذلك في ظهور مسالة حوض الكنغو التي كانت سبباً رئيسياً في انعقاد مؤتمر برلين 1884-1885م.

يري الباحث انه من خلال المعطيات السابقة فان الكشوف الجغرافية كان لها دور كبير في دفع الدول الاوربية لاستعمار القارة الافريقية, خصوصاً بعد المعلومات التي وفرها المستكشفون الاوربيين عن القارة الافريقية ومواردها المادية والبشرية, كما انه كان لحركة التبشير التي لازمت تلك الرحلات الكشفية دوراً كبيراً في التغلغل الاستعماري وتثبيت اقدامه في القارة الافريقية.

الأسباب والظروف التي مهدت لقيام مؤتمر برلين 1884م – 1885م:

هناك العديد من الظروف والاسباب المباشرة وغير المباشرة التي ادت الي انعقاد مؤتمر برلين 1884م – 1885م. ومن بين الاسباب غير المباشرة الصراع بين الدول الاوربية حول القارة الافريقية والاستيلاء علي اراضيها ومواردها, مستغلين ادعاءاتهم العنصرية في تحقيق نظرية عبء الرجل الابيض.

اما السبب المباشر الذي ادي الي انعقاد مؤتمر برلين هو الاطماع البلجيكية بقيادة ملكها ليوبولد الثاني الذي كانت له طموحات واسعة للتوسع والاستعمار في افريقيا وبالتحديد في منطقة الكونغو منذ قبل توليه مهام العرش في بلجيكا. فكان يفكر في الكثير من البلدان في افريقيا وآسيا ولكن توجه نظره الي الكونغو فقام بعقد مؤتمر للجغرافيين الدوليين في بروكسل عام 1876م والذي شارك فيه سياسيين ومستكشفين الي جانب الجغرافيين, وقد حاول ليوبولد الثاني تحقيق اهدافه واطماعه الشخصية مظهراً العمل الانساني عندما حاول ان يبرر ان الهدف هو تسهيل استكشاف القارة وحماية اهلها من تجارة الرقيق. وكان مؤتمر بروكسل 1876م قد حمل اسم المؤتمر الجغرافي العالمي, ثم تألفت بعد ذلك الجمعية الدولية لكشف افريقيا وادخال الحضارة اليها. علي اثر ذلك تكونت لجنة دراسة الكونغو الأعلى ثم اصبحت تدعي هيئة الكونغو الدولية. واستعان الملك ليوبولد الثاني في نشاطه بالكونغو علي ستانلي ودعمه للعمل في منطقة الكونغو التي سافر اليها عدة مرات وعقد 500 معاهدة مع الشيوخ والرؤساء المحليين, وارسل الملك ليوبولد الثاني حملات عسكرية الي ابعد مسافة ممكنة وفي كل الاتجاهات وتأسست مدينة ليوبولد فيل عام 1882م, وتم انشاء 22 محطة تجارية علي نهر الكونغو وفروعه وتم السيطرة علي خامات حوض الكونغو الغنية.

نتيجة لذلك النشاط المتسارع من قبل الملك ليوبولد الثاني بدأت تتكشف نواياه التي تعارضت مع بعض مصالح الدول الاوربية, خاصة فرنسا التي بدأت تكشف الاهداف الحقيقية للهيئة الدولية للكونغو, فكانت فرنسا تمتلك الاراضي المحيطة بمصب الجابون منذ عام 1858م وتمتد الي اقاليم الكونغو واقاليم الاوبانجي, وكان

الايطالي المتجنس فرنسياً سافورينسان دي برازا يعمل لاستكشاف هذه المناطق منذ عام 1875م وقد اعلن خضوع الاراضي الواقعة علي ضفتي النهر الي الحماية الفرنسية. اما ستانلي فقد تحرك الي الداخل الا انه التقي بالمستكشف دي برازا سنة 1880م ووقع بينهما تنافس امتد الي قيادة الدولتين ووقع اتفاق بين الطرفين(الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الرازق عبد الله: 1998, ص 144- 146).

ظهرت البرتغال في الصراع باعتبار ان لها حقوق تاريخية علي سواحل الكونغو لأنها اول من كشف مصب النهر في القرن الخامس عشر ودعمتها بريطانيا بغرض مد نفوذها بدل البرتغال العاجزة مالياً واتفقت الدولتان في 26 فبراير 1884م علي احقية البرتغال في الاستيلاء علي اقليم الكونغو وحرية الملاحة الدولية في نهري الكونغو والنيجر. ونتيجة لهذه الاتفاقية وخوف فرنسا علي مصالحها وقع تقارب بين فرنسا والمانيا واتفقا علي عقد مؤتمر دولي لإفشال ما وقع الاتفاق عليه بين بريطانيا والبرتغال بخصوص منطقة الكونغو وتصحيح الاوضاع, وبناء علي ذلك لم توقع بريطانيا علي الاتفاقية وتمت مراسلة الدول لعقد مؤتمر برلين لحل مسائل النزاع بين الدول الاوربية في افريقيا لتجنب الخلاف والصدام العسكري بينهم (الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الرازق عبد الله: 1998, ص 146).

انعقاد مؤتمر برلين 1884م – 1885م:

عقد مؤتمر برلين في مدينة برلين في الفترة من 15 نوفمبر 1884م وحتي 26 فبراير 1885م بدعوة من المانيا الي مختلف الدول الاوربية وشارك فيه مندوبو اربع عشرة دولة هي النمسا, المجر, المانيا, بلجيكا, الدنمارك, ايطاليا, هولندا, البرتغال, روسيا, النرويج, تركيا, الولايات المتحدة, بريطانيا, فرنسا.

استمرت جلسات المؤتمر حتي يوم 26 فبراير 1885م في عدد عشرة جلسات خرج من خلالها المؤتمرون بقرارات في شكل ميثاق تضمن 38 مادة, وقد نصت المادة 38 علي ان المواد التي تعتمدها الدول المشتركة سوف تصبح سارية المفعول بعد اعتمادها من كافة الدول, وقد اعتمدت الدول المشتركة في المؤتمر هذه القرارات(Hertslet, E., 1909, pp 468).

وانتهي المؤتمر في يوم 1885/2/26م, واهم القرارات التي خرج بها هي:-

1- اتفق المؤتمرون علي ان أي دولة اوربية تحتل بلداً افريقياً وتعلن الدول الأخرى بهذا الاحتلال, يحق لها ان تستعمر هذا البلد فيما بعد.
2- الاتفاق علي حرية التجارة المشروعة في حوض نهري الكنغو والنيجر وكذلك حرية الملاحة الدولية.
3- وافق المؤتمر علي اعطاء الملك ليوبولد الحق في امتلاك اراضي وادي الكنغو علي ان يكون محايداً والتجارة فيه حرة.
4- وافق المؤتمر علي الاستمرار في محاربة تجارة الرقيق في افريقيا.

5- أي دولة سبق ان ارتبطت بمعاهدات او اتفاقيات مع السكان الوطنيين يكون لها الحق في احتكار التجارة معهم دون تدخل دولة اخري (موسي؛ فيصل محمد : 1997م, 133-134).

تناول شوقي الجمل تفاصيل قرارات المؤتمر التي صدرت في مواده, وبخصوص حرية التجارة في حوض الكنغو فيقول ان المناقشات قد كشفت عن تقارب المانيا وانجلترا والهيئة الدولية, اذ كانوا يسعون الي التوسع في عملية حرية التجارة ككل في اواسط افريقيا لكن فرنسا والبرتغال عارضتا ذلك مما خلق قطيعة بين بعض وفود فرنسا والمانيا وقد تعاطف بسمارك مع بريطانيا والهيئة الدولية وتحقق الانتصار لمبادئ حرية التجارة. كما نجح المؤتمر ايضاً في تحديد الحدود الجغرافية لحوض الكنغو. بالنسبة لحرية الملاحة ايضاً فقد نصت المادة 30 من نصوص المؤتمر علي ان تتعهد بريطانيا بتطبيق مبادئ حرية التجارة في احواض النيجر وفروعه ومنافذه الواقعة تحت سيادتها, بالإضافة الي حماية التجار الاجانب. كما نصت المادة 33 علي حرية الملاحة في النيجر والمياه الاقليمية خلال الحرب حيث تظل نصوص المؤتمر سارية المفعول في زمن الحرب, وعلي هذا تظل الملاحة حرة لكل الدول سواء المحايدة او التي في حالة حرب (الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الرازق عبد الله: 1998, ص 148).

وقد نصت المادة 34 من نصوص المؤتمر ان أي دولة تستولي علي أي جزء من الارض علي سواحل القارة خارج ممتلكاتها الحالية او التي تنوي اعلان حماية عليها ان تخطر بقية الدول الموقعة علي مرسوم المؤتمر حتي يمكنها الدفاع عن ادعاءاتها الخاصة. وان أي دولة تستولي علي منطقة ساحلية لها الحق في التوسع في المناطق الداخلية للساحل علي ان لا تصطدم بحدود نفوذ دولة اخري.

اما بالنسبة لتجارة الرقيق فقد اخذت جزئية بسيطة من اعمال المؤتمر وجاء النقاش فيها مختصراً وغامضاً. وجاء في المادة التاسعة من نصوص المؤتمر ما يفيد ان تجارة الرقيق محرمة طبقاً لمبادئ القانون الدولي, وبهذا فان علي الدول العمل علي منع الاتجار بالرقيق ومعاقبة من يمارس العمل بها.

جرت بعض الاتفاقات الجانبية بين بعض الدول اثناء اجتماعات المؤتمر وقد نجحت هذه الاجتماعات في حل ومعالجة كثير من المشاكل التي واجهت المؤتمر منذ انعقاده. اما فيما يتعلق بالكنغو فقد تقرر قيام دولة حرة بها تحت ادارة جمعية الكنغو التي يراسها الملك ليوبولد, منذ ان كان موقف بريطانيا والبرتغال ضعيفاً لدرجة ان اعضاء من البرلمان البريطاني ذاته تهكموا علي تأييد بريطانيا لوضع منطقة هامة مثل الكنغو في يد دولة ضعيفة كالبرتغال (الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الرازق عبد الله: 1998, ص 150).

كانت مقررات مؤتمر برلين بمثابة الضوء الاخضر للتكالب الاستعماري الاوربي علي القارة الافريقية, وفي نفس الوقت دعوة للتنافس الاستعماري الامبريالي. كما ان بعض بنوده ايضاً قد اعطت الحق وشجعت الدول الاوربية علي عقد اتفاقيات مع زعماء القبائل الأفارقة مقابل بعض الهدايا البسيطة والرشاوي, وكان كثير من هؤلاء الزعماء الأفارقة لا يدرون علي ماذا وقعوا مما سلبهم ذلك اراضيهم. والملاحظ ان قرارات هذا المؤتمر كانت سرية ولم تعطي للأفارقة أي اعتبار وكأن القارة الافريقية خالية من السكان.

كان مؤتمر برلين هو المدخل الرئيسي لتقسيم القارة الافريقية بين الدول الاوربية حيث انعقد في عام 1890م مؤتمر بروكسل الذي جدد التأييد لقرارات مؤتمر برلين 1884م – 1885م, كما انه وضعت فيه افريقيا علي طاولة المفاوضات وتم تقسيمها الي مناطق نفوذ بين الدول الاوربية فجاء التقسيم علي النحو التالي:-

1- اصبحت الكنغو دولة الكنغو الحرة في اغسطس 1885 أي بعد ستة اشهر من المؤتمر مستعمرة بلجيكية.
2- استولت كل من بريطانيا وفرنسا علي مساحات كبيرة من افريقيا.
3- احتفظت البرتغال بمستعمراتها في موزمبيق وانجولا رغم انها اضعف الدول الاوربية.
4- استولت المانيا علي الكاميرون والتوجو لاند وجنوب غرب افريقيا ومساحات في شرق افريقيا.
5- احتفظت اسبانيا بمناطق نفوذها في ريوموني Rio Muni والصحراء الاسبانية بالإضافة الي الجزر المجاورة للسواحل الافريقية.
6- ايدت بريطانيا في احتلالها لعصب واريتريا وكذلك حمايتها علي الحبشة, والجدير بالذكر ان ايطاليا منيت بهزيمة من الاحباش في معركة عدوة سنة 1896م.
7- لم تجد فرنسا منطقة نفوذ في الكنغو والنيجر ولذلك ركزت جهودها في ساحل العاج وداهومي والسنغال.
8- ايدت الدول الاوربية استقلال سيراليون التي تحت الحماية البريطانية, وليبيريا التي تحت الحماية الامريكية (موسي؛ فيصل محمد : 1997م, 134-135).

التكالب الاوربي علي القارة الافريقية:

نتيجة لمقررات مؤتمر برلين الذي اجمعت فيه القوي الاوربية بضرورة ان الادعاءات الاستعمارية في افريقيا لا تكون الا بالاحتلال الفعلي الواقع فان ذلك يعتبر اشارة البدء لذلك التسابق المحموم علي القارة الافريقية وهذا ما عرف "بالتكالب الاستعماري علي افريقيا" Scamble for Africa فكان ان أُقتسمت كل القارة الافريقية بين القوي الاوربية. وقد شارك في هذا التكالب دول اوروبا البحرية بالذات, لكن مع تخلف واستبعاد بعض القوي القديمة مثل هولندا والدنمارك ودخول بعض القوي الجديدة مثل المانيا وايطاليا وبلجيكا, فقد كان الصراع في إفريقيا انعكاساً للصراع في اوروبا, وتحددت نتائجه بقدر اوزان تلك القوي الاوربية ففازت القوي الكبرى منها بنصيب الاسد (جمال حمدان؛ 1983, ص 121-122).

قبل انعقاد مؤتمر برلين كانت حوالي 10% من مساحة افريقيا واقعاً تحت السيطرة الاوربية, ولكن بعد المؤتمر وفي اقل من عشرين عاماً تلت هذا المؤتمر استولي الاوربيون علي الجزء الباقي من القارة الافريقية وقد تم كل ذلك بموجب التقسيم بعد مؤتمر برلين الذي اسفر عن تغيير ملامح الخريطة السياسية لقارة افريقيا ونظم كل اجراءات السيطرة والاحتلال لها.

توغلت بريطانيا من قواعدها الساحلية في غرب افريقيا حيث حققت توسعاً بحرياً يتمثل في عدة مستعمرات منفصلة عن بعضها البعض. ودخلت المانيا في توجو والكمرون, اما فرنسا فقد دخلت من شمال غرب افريقيا في

الشريط المحصور بين الصحراء شمالاً والغابة في محاولة لخلق امبراطورية عسكرية قارية صحراوية بدأتها من الجزائر وامتد نشاطها الاستعماري فأصبحت تضم كل من تونس والمغرب ثم توسعت في السنغال واحتلت منطقة الكنغو الفرنسية والصومال الفرنسي وساحل العاج ومدغشقر, ودخلت بريطانيا من شمال شرق افريقيا في مصر حيث اتخذتها قاعدة للتوسع في سودان وادي النيل (R.W.Steel; 1956, p 27).

وفي شرق افريقيا بدأت بريطانيا بمستعمرة في كينيا واوغندا التي اتصلت بمستعمراتها النيلية في الشمال في مصر وبسطت نفوذها في السودان بموجب اتفاقية ثنائية مع مصر وقد اعلنت حمايتها علي الصومال في عام 1884م وضمت بتسوانا لاند وجنوب افريقيا ونيجيريا وافريقيا الشرقية البريطانية وتوسعت في غينيا وسيراليون وساحل الذهب, وكذلك ناظرتها المانيا بمستعمرة واسعة في تنجانيقا وامتدت مستعمراتها كلها في جنوب غرب افريقيا والكاميرون وتوجو لاند, واستولت بلجيكا في الغرب علي الكنغو, والي الجنوب من هذا كانت البرتغال تتوسع من شريطها الساحليين القديمين لتكون موزمبيق وانجولا وتوسعت في غينيا البرتغالية "غينيا بيساو". وبعد ان تحقق لبريطانيا انتزاع الكاب في الجنوب الافريقي من هولندا فقد اتخذتها منطلقاً للاندفاع نحو قلب القارة شمالاً, في الوقت الذي حاولت المانيا ملء الفراغ علي الساحل الغربي بين الكاب وانجولا بجنوب غرب افريقيا (الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الرازق عبد الله: 1998, ص 152-153).

حاولت كل من المانيا والبرتغال ان تصل ما بين اراضيها شرقاً وغرباً لتغلق الطريق علي التوسع البريطاني, فألمانيا سعت فيما بين تنجانيقا وجنوب غرب افريقيا, والبرتغال ما بين موزمبيق وانجولا, ولكن بريطانيا كانت لها اليد العليا في تلك المناطق وقد كانت بريطانيا تتطلع الي حلم اكبر وهو طريق الكاب القاهرة في محاولة لربط مستعمراتها في اقصي شمال وجنوب القارة علي محور طولي (G.Hamdan; 1963, p 425.).

وتسابقت الدول لاقتسام القارة الافريقية فاحتلت ايطاليا ليبيا عام 1912م وسقطت اجزاء من المغرب بين يدي اسبانيا وفرنسا وخضعت طنجة لنظام دولي واستمر الوضع كذلك الي ان قامت الحرب العالمية الاولي وانهزمت المانيا واقتسمت الدول الاوربية المنتصرة في الحرب مستعمرات المانيا والدول المهزومة في افريقيا حيث حصلت بريطانيا علي مستعمرة شرق افريقيا الالمانية "تنجانيقا" وعلي جنوب غرب افريقيا الالمانية وجزء من الكاميرون اضيف الي نيجيريا وعلي جزء من توجو لاند اضيف الي ساحل الذهب بينما حصلت فرنسا علي الجزء الباقي.

ويري الباحث انه بهذا فقد خرجت المانيا مهندس التقسيم ومبتدر عملية تنظيم التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية من امتلاك أي اجزاء من الاراضي الافريقية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الاولي, ولكنها ساهمت بقدر كبير في اشعال ذلك التكالب والتدافع الاوربي الذي ما زالت آثاره السيئة مستمرة في القارة الافريقية من تمزق داخلي واستنزاف للموارد وآثار سالبة علي المستوي النفسي والاقتصادي والاجتماعي رغم تحررها من براثن الاستعمار الاوربي الغاشم.

ويري الباحث ان الشركات الخاصة بالدول الاوربية والتي انتشرت بصورة كبيرة في القارة الافريقية قد لعبت دوراً كبيراً وبارزاً في الاستحواذ علي الكثير من الاراضي عن طريق توقيع الاتفاقيات والمعاهدات الغامضة مع الزعماء المحليين وفي حقيقة الامر لا يعرف الزعماء المحليين فحوي هذه الاتفاقيات التي يكون المقابل علي توقيعها بعض الاموال والهدايا البسيطة والتي في الواقع تسلبهم اراضيهم. وقد حلت الحكومات الاستعمارية الغربية محل الشركات واستولت علي الاراضي الافريقية واستعمرتها واستغلت مواردها وامكانياتها مادياً وبشرياً.

وقد ساهم هذا التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية في ترك آثاره التي ظلت تلاحق الحكومات الوطنية الافريقية في كثير من صور النزاع والصراع بسبب مشاكل الحدود المتصاعدة وفي التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وغيره من الآثار السالبة التي تركها ذلك التكالب الاستعماري.

النتائج:

خلص البحث الي عدد من النتائج التي من بينها:-

1- علي الرغم من ان السبب الرئيسي في قيام مؤتمر برلين 1884م – 1885م هو لمعالجة مشكلة الكونغو الا انه تطورت حيثياته وامتدت الي معالجة قضايا الصراع بين الدول الاوربية حول مصالحها الاستعمارية.

2- كان لقرارات مؤتمر برلين 1884م – 1885م دوراً كبيراً في تنظيم وتقسيم القارة الاوربية بين الدول الاستعمارية الاوربية, وقد ساهم بقدر كبير في تنظيم عملية التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية.

3- اتخذت حركة التكالب الاوربي علي القارة الافريقية بعض المراحل التي بدأت بمرحلة الاستكشاف والتبشير والتجارة ثم مرحلة التنافس والتكالب في الاستعمار المباشر للقارة الافريقية واستغلالها.

4- لعب المستكشفون والشركات الاوربية دوراً كبيراً في تمكين النشاط الاستعماري بسبب استيلائها علي مساحات كبيرة من اراضي الأفارقة بمعاهدات مع الزعماء الأفارقة مقابل هدايا بسيطة.

5- خرجت المانيا مهندس التقسيم ومبتدر عملية تنظيم التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية من امتلاك أي اجزاء من الاراضي الافريقية بعد هزيمتها في الحرب العالمية, ولكنها ساهمت بقدر كبير في اشعال ذلك التكالب والتدافع الاوربي الذي ما زالت آثاره السيئة مستمرة في القارة الافريقية من تمزق داخلي واستنزاف للموارد وآثار سالبة علي المستوي النفسي والاقتصادي والاجتماعي رغم تحررها من براثن الاستعمار الاوربي الغاشم.

6- ساهم هذا التكالب الاستعماري علي القارة الافريقية في ترك آثاره التي ظلت تلاحق الحكومات الوطنية الافريقية في كثير من صور النزاع والصراع بسبب مشاكل الحدود المتصاعدة وفي التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وغيره من الآثار السالبة التي تركها ذلك التكالب الاستعماري.

التوصيات:

نتيجة لما سبق فان البحث يوصي بالآتي:-

1- ضرورة العمل علي اجراء الدراسات والبحوث العلمية الخاصة بهذا المؤتمر الذي ساهم بقدر كبير في تقسيم القارة الافريقية واستعمارها.

2- ضرورة الاعتماد علي الدراسات العلمية التي تعتمد علي الوثائق والمخطوطات كمصادر تبين الحقائق وتكشف كل الجرائم غير الانسانية التي مارسها الاستعمار الاوربي في حق القارة والشعوب الافريقية.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

(1) الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الله عبد الرازق: (1998م) دراسات في تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر, القاهرة.

(2) الجمل؛ شوقي عطا الله وعبد الله عبد الرازق: (2002م), تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر, دار الزهراء للنشر والتوزيع, ط2, رقم الايداع: 22/2793, 1422هـ الرياض.

(3) البير ادو بواهن؛(1990م) افريقيا في مواجهة التحدي الاستعماري في تاريخ افريقيا العام, المجلد السابع- افريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935, صدر عن اليونسكو- منظمة الامم المتحدة.

(4) جمال حمدان؛(1403هـ- 1983), استراتيجية الاستعمار والتحرير, ط1, دار الشروق, بيروت.

(5) موسي؛ فيصل محمد : (1997م), موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر, ليبيا- بنغازي.

(6) نكروما؛ كوامي: (1958م), نحو تحرير المستعمرات – ترجمة عبد العزيز عتيق.

(7) عوض؛ محمد عوض: (1953م) الاستعمار والمذاهب الاستعمارية, القاهرة.

المراجع الاجنبية:

(1) G.Hamdan; Political Map of the New Africa, Geog. Review, 1963.

(2) Hertslet, E. The Map of Africa by Treaty Vol.2, London, 1909.

(3) R.W.Steel; Some Problems of Population in British West Africa, in Geog-Essays on British Tropical Lands, London.

(4) Stephen Ocheni, Basil C. Nwankwo: Analysis of Colonialism and Its Impact in Africa, Croos-Cultural Communicatin,Vol.8,No3,2012.